

آلان باديو ALAIN BADIOU
بين الأنطولوجيا الرياضية والماركسية السياسية

أ. زهير قوتال / جامعة سطيف 02

مقدمة:

" إن الفيلسوف أكثر سعادة من كل الأشخاص الذين نعتقد أنهم سعداء أكثر منه، كالأغنياء وأهل المتعة والسلاطين، وهذا يعني بصفة واضحة: أن الفيلسوف يختبر داخل حياته ماهية الحياة الحقة¹."

يعتبر آلان باديو ALAIN BADIOU من الفلاسفة القلائل بعد هيجل، صاحب النسق المكتمل، الذين يمتلكون فكرا نسقيا كلاسيكيا بالمعنى الذي يتوفر فيه، وفق تصاعد ملحوظ على مجموعة من الأفكار الثابتة من البدايات الأولى²، بالرغم التيار الذي يقوده نيتشه بعد هيجل والذي يتحامل فيه على كل الأنساق وعقولها.

يقوم نسق باديو من جهة أولى على المباحث الرياضية والمنطقية التي تساعد على كشف المسائل الأساسية للفلسفة، ويقوم من جهة ثانية على النظر الأناسي، أي النظر في الإنسان باعتباره حدثا يمكنه الارتقاء إلى شيء آخر، ويفلّت من قبضة الحتميات الرياضية، والمنطقية ذلك أنه إذا كان الحدث في قلب الواقع الإنساني، فإنه يدخل في علاقة جدلية مع الوجود المترىض والمتمنطق حيث تتواجد الشبكات الأربعة للمفاجئات والإبداعات: العلوم والسياسة والفنون والحب. ولد آلان باديو بالرباط عاصمة المملكة المغربية سنة 1937، وتخرج من المدرسة العليا للأساتذة E.N.S سنة 1960، حيث تحصل على شهادة الجدارة L'agrégation في الفلسفة، وقد كان

¹ - **Abstract:** The main and fundamental concept of Badiou's ontology is multiplicity: where Cantor has sought to develop a mathematical theory of multiple, but Badiou transposed it, while adapting this theory in the field of his ontology research. So the result was reached to a new hypothesis which is: "there is no existence of one." But We shouldn't reasoning from some substance, principles (the One God ...) or primordial units (eg, atoms) which its combination lead to a formation of multiplicities. The process is reversed here. "There is no existence of One", which means that one is nothing else just an "operational" concept, according to some kind of product that is elaborated from the first "raw material" is multiple.

For Badiou, another fundamental concept is the one which mean; prevent the whole or -ensemble- to occur, and permanently exceeded it and shaking it: event is the second system plan, which can escape from human being ontology in its self. Badiou's ontology is reduced and diminished one: because that event is constringed human being ontology, because his being is multiple, and his structured is also exceeded shape.

In a particular speaking, we can say that, event doesn't exist: it happens, it has a place, but Unknown one, through unpredictable essence that is irreducible from any anticipatory knowledge, and holding such Characteristics of chance, new, and unheard.

Key-words: Badiou--- multiple --- mathematical ontology---political philosophy--- event

¹ - Alain Badiou et Fabien Tarby, La philosophie et l'événement éd Germina, Paris 2010.p.150

² - Ibid p 154

متأثراً بوالده الذي كان مولعاً بالرياضيات مما دفع به إلى دراسة الاختصاص متأثراً بالرياضيين الكبار من أمثال كانتور Cantor وغودل Gödel وغيرهما، هذا فضلاً عن تأثره بالأفلاطونية. وبعد تخرجه درّس ألان باديو في بداية الأمر في الثانوي بالتنسيق مع المدرسة العليا ثم التحق بكلية الآداب في جامعة رامس Reims. ثم اندمج بالمركز الجامعي التجريبي في منطقة فاسنان Vincennes في سنة 1968-1969 حيث ساهم في تطوير هذه الجامعة الفنية والتي نقلت بالقوة السياسية والأمنية من فاسنان إلى سان دوني saint Denis ، وصار يطلق عليها "جامعة باريس 8"، أين درس فيها باديو وأشرف على طلابها لمدة 30 سنة إلى حين تقاعده سنة 1994. ثم بعد ذلك التحق بالمدرسة العليا للأساتذة في باريس حيث يشغل منصب أستاذ كرسي Professeur émérite إلى يومنا هذا.

التحق باديو بصفوف الحزب الاشتراكي الموحد P.S.U الذي كان يقوده آنذاك ميشال روكار Michel Rocard، وقد كان مناضلاً مشاركاً داخل الحزب، حيث طالب من القيادة أن تتبنى الماركسية اللينينية منتقداً النزعات اليمينية داخل الحزب، وبعد ذلك التحق بمجموعة اسپينوزا. Groupe Spinoza الذي أسسه لويس ألتوسير Louis Althusser وذلك عام 1967، ثم ما فتى أن انفصل عنه سنة 1969 حيث أنشأ الاتحاد الشيوعي الفرنسي، الذي كان ذو توجه ماوي Maoiste .

ومنذ منتصف الثمانينات يشغل باديو منصب أمين عام لجمعية تطلق على نفسها: التنظيم السياسي بالإشتراك مع رفاقه سيلفان لازاروس sylvain lazarus و نيتاشا ميشال Natacha Michel، حيث يقوم هؤلاء من خلال هذه الجمعية بالدفاع عن قضية العمال الأجانب والأقليات التي هي في وضعية غير قانونية وكذا العائلات الموجودة في فرنسا بصفة غير قانونية.

لقد اعتقد الكثيرون، بحسب باديو، أن الفلسفة الماركسية والفكر الشيوعي عموماً، قد وُضع في المتاحف وأنه من الخطورة بمكان أن يتجرأ مفكر ما مدعياً بأن الماركسية هي البديل الممكن لما أصاب الشعوب من قهر وإحباط، إن الحل والبديل الأمثل بحسب باديو هو بناء مادية جديدة انطلاقاً من العلم الرياضي، حلاً جعل باديو يقدم لنا فيلسوفاً قديماً جديداً، أعتقد الكثير من الناس أنه تم دفن هذا النوع من الفلاسفة مبكراً وقبل الموعد ألا وهو "أفلاطون".

يمكن القول أن باديو هو نتاج فلسفي لعدة توجهات الرياضيات الصورية ضد النزعة الإنسانية لدى ألتوسير، والأخلاق البطولية والإلتزام الماركسي لدى سارتر وأخيراً التحليل النفسي اللاكاني. له العديد من الأعمال الفلسفية والأدبية والسياسية، من أهم كتبه الفلسفية: نظرية الذات 1982 والوجود والحدث 1988 ومنطقيات العالم 2006 ومن بين كتبه السياسية: الحركة العمالية الثورية ضد النقابة 1976 والمعارضة داخل الحزب الشيوعي الفرنسي 1978، كما له العديد من الأعمال الأدبية والمسرحية منها: أحمد الحاذق (مسرحية) 1994 واليقطينيات (مسرحية) 1996 .

1- تاريخ الفلسفة: صراع وخصوم في الفكر

يتبنى باديو قراءة سجالية لتاريخ الفلسفة حيث يرصد داخل هذا التراث الفكري وبصفة منتظمة المجاهبات الكبرى أو قل خطوط المجابهة (على عكس دولوز الذي يتبنى خطوط الهروب) بين الفاعلين فيه.

هناك الجبهة الأولى التي تدشن هذا الصراع الطويل والتي يقابل فيها باديو بين أفلاطون من جهة وأرسطو من جهة أخرى، فالأرسطية بالنسبة إلى باديو ذات نزعة موسوعية تنزع نحو المعرفة وتنغاضي عن الحقيقة، فهتمها هو المعرفة الموسوعية بكل أشكالها من المعرفة المنطقية التي تمرّ بالتحليل اللغوي إلى المعرفة الطبيعية والبيولوجية الحيوية التي تهتم بشروط التجربة الحسية كل ذلك على حساب الحقيقة.

أما أفلاطون، والذي ينتصر له باديو، فإن هتمه الفلسفي يقوم على بناء مذهب قائم على المثل وعلى الحقائق (جمع حقيقة) Les vérités. أما الجبهة الثانية التي يرصدها باديو فهي المرحلة الكلاسيكية والتي تجسد صراع الشك Le scepticisme الذي ينزع مانتان Montaigne ضد العقلانية بزعامه ديكارت والتيارات الديكارتية التي جاءت من بعده اسبنوزا وليبنيز ومالبرانش. أما الجبهة الثالثة التي رسم خطوطها باديو هذه المرة في ألمانيا بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر، الصراع يدور في هذه المرحلة بين نسقين كبيرين، نسق كانط النقدي ويقابله نسق هيغل الجدلي، فالنسق الكانطي بحسب باديو يحتوي على ملامح أرسطية ذات النزعة المعرفية الموسوعية ويضمّ إليها نزعة شكّية التي تقول بمحدودية المعرفة في حين فإن النسق الهيجلي ينزع من خلال جدله إلى الحقيقة¹.

ولا يريد باديو، داخل هذه الجبهات والتي قدّم لنا نماذج منها، أن يبيّن أنّ هناك تقدّم ما أو تطور ما داخل تاريخ الفلسفة، كما أنه لا يريد أن يطبّق حفريات المعرفة على هذا التاريخ كما فعل ميشال فوكو، أنّه بالأحرى يريد أن يسيّج ويخندق بين مختلف الخلفاء والأنساب والورثة Lignées داخل ساحة المعركة أين يتخندق آلان باديو داخل هذه التحالفات والجبهات؟

لاشك أن آلان باديو يصطف كليا ويتحالف وينتسب دون تردد إلى جانب أفلاطون وديكارت وهيغل، هؤلاء الذين إشتغلوا وإنشغلوا بالحقيقة وعلى العكس من ذلك فإن كابوس باديو يأتي من التحالف المخالف والقائم بين التيارات والمدارس التي تشتغل على المعرفة دون الحقيقة أو التي تقوم مذهبها على الشكّ، والتي تقول بالحدود الذاتية للمعرفة، وكذا المذاهب التي ترفض المثل.

إن باديو يعتبر نفسه في مقابل تحالف يُمثّله موكبا متكاملا ينعتهم بخصوم الفلسفة وبأعدائها (L'antiphilosophie)، مفهوم استعاره من أحد شيوخه ألا وهو جاك لاكان². والعداء للفلسفة ليس جديدا في تاريخ الفلسفة وإنما يظهر في التقاليد السقراطية ضد الأفلاطونية كما

¹ - Ibid p192.p.306

² - Alain Badiou, conditions, éd Seuil, Paris, 1982. p201

يلاحظه باديو لدى بلاز باسكال pascal ، هؤلاء الكتاب يقودون موكب السخرية من الميتافيزيقا، ويتهمون على كل من يزعم بناء نسق ما، وهذا ما نجده بحسب باديو عند كل من كيركغارد، وفيتغنشتاين حيث ينظر هؤلاء إلى الفلسفة على أنها ممارسة وقواعد وليست نظرية، لقد جند باديو نفسه لمحاربة هذا التيار المعادي للفلسفة، كما يراه هو نفسه، فدخل في صراع دائم ضد أنصار هذا التيار الفلسفي الممزوج والمنجذب إلى قوته الأدبية منذ نيتشه إلى دريدا مروراً بكل من هيدغر وفوكو ودولوز وليوتارد وفيتغنشتاين وغيرهم، وهناك تيار لا يقل وقاحة وخطورة على الفلسفة بحسب باديو، حيث وصفه باديو في كتابه "منطقيات العوالم" بالمادية الديمقراطية حيث يدور فكر هذا الخصم حول الصيغة التالية: ليس هناك إلا أجساداً وأقوالاً "IL n'y a que des corps et des langages" وهو التيار الذي تتزعمه المدارس الأنغلو سكسونية التي ينطلق فكرها حصرياً من استعمالات الأقوال أو اللغات، وكذا المذهب البرغماتي والمادية المبسطة لعلم النفس القائم على الداروينية الجديدة، وكذلك التيار الكانطي المتواجد على الدوام في الفلسفة السياسية حيث يركز على الاعتراف بحقوق الأفراد ويختزل السياسة في مسألة التفاهات بين الذوات لدى هذه الأفراد.

وفي مقابل هذا التيار الأنغلو سكسوني المتعدد الوجوه والمدارس والذي أطلق عليه باديو اسم أو صفة "المادية الديمقراطية" قدّم صاحب "منطقيات العوالم" مفهوماً آخر تحت اسم المثالية الأرسطراطية أو الجدلية المادية la dialectique matérialiste¹ معتبراً أن الأجساد والأقوال لا يمكن لها أن توجد إلا إذا تمفصلت مع الحقائق (جمع حقيقة) تلك الوقائع (الحقائق) الأزلية التي يجب على الفلسفة أن تعيد موضعها في قلب مسارها البحثي².

كما أن باديو لم يتوانى في محاربة ما أطلق عليهم باسم الفلاسفة الجدد

Les nouveaux philosophes من أمثال برنار هنري ليفي B.H. L. وأندريه غليكسمان André Glicksmann وغيرهما حيث يقومون بالدفاع عن حقوق الإنسان بحجج أخلاقية ومانوي-الخير ضد الشر - وهذا حجاج ضعيف جداً بحسب باديو.

2- قوام الفلسفة الباديوية:

بعد أن حدد لنا باديو خطوط المواجهة مع الأعداء، وحدّد لنا مواقعهم ومكانهم وضعفهم وكيف يمكن إزاحتهم وهزمهم فما هو نسق باديو الفلسفي؟ وماهي دعائمه؟

تدور الفلسفة بالنسبة لآلان باديو بين الأنطولوجيا التي رفعت الفلسفة إلى مصاف الفكر وبين مجموعة الإجراءات التي تنتج الحقائق، والمتمثلة (الإجراءات) بصفة دائمة في أربعة إجراءات ضرورية وهي العلم، الفن، السياسة، والحب، وحتى تتحقق هذه الفلسفة يجب أن يكون

¹ - les logiques des mondes, p16

² - Ibid p53

اجتماع هذه الإجراءات ضروري وأكد¹؛ ففي قلب نسق باديو هناك أربعة شبكات كبيرة، أربع طرق للحقيقة: العلم والسياسة والفن والحب، وقد حاول باديو أن يجعل من هذا المشروع الفلسفي نسقا حركيا وجدليا، نسقية تجمع بين بعدين متقابلين للعالم: إمكانية الريضة والتمنطق (نسبة إلى المنطق) من جهة والاستثناء الإنساني من جهة أخرى، أي من جهة أولى هناك الإنسان - الذات - الذي يصدر عنه الحدث، ومن جهة أخرى الوجود الذي هو مبدأ كل شيء؛ لقد قدم لنا باديو فلسفة طموحة جدا فلسفة غايتها القصوى التفكير في الوجود، ذلك أن الفلسفة لا توجد إلا تحت شرط التفكير في الوجود²، فلا فلسفة خارج شرط التفكير في الوجود، هذه الفلسفة أراد لها باديو أن تكون متماسكة ومبنية وفق منظومة فكرية تقوم على دعائم وأسس العقلانية المعاصرة وعلى الأخص الأسس الرياضية والمنطقية منها؛ لقد أراد باديو من خلال فلسفته تدعيم النسق الأفلاطوني بالنسق الكانتوري الرياضي، أي أنه أنقض أفلاطون بالاستعانة بكانتور³.

وعليه لا يمكن ولا يمكننا أبدا أن نطرح مسألة النهاية وموت الفلسفة، ذلك أن الفلسفة كانت وستظل متميزة بإجراءاتها العملية وهذا ما يميزها عن العلم أو عن المعرفة عموما. وفي معرض رده على فلاسفة ما بعد الحداثة الذين بحسبه حملوا إلى حد ما الفلسفة الكوارث التي أصابت العالم الحديث والمعاصر بفعل ممارسة الفلاسفة للسياسة أو سكوتهم عن ما يحدث، كانخراط هيدغر في الحزب الوطني الاشتراكي النازي في الثلاثينات من القرن الماضي وقبوله منصب العمادة في عهد النازية، بفعل هذه الممارسات وبغيرها اعتقد هؤلاء أن المسؤولية تقع على الفلسفة التي بحسبهم لم تتحمل مسؤولياتها في الحد من هذه المصائب واجتنابها.

لقد اعتبر باديو أن هؤلاء حملوا الفلسفة ما لم يكن في استطاعتها تحمله، ولا من مهامها أن تتحمله، فإذا كان ليس في مقدور الفلسفة أن لا تفكر في "إبادة الشعب اليهودي الأوروبي" فذلك ليس من شأنها وليس من واجبها بل ولا في مقدورها أن تفكر فيه؛ إن هذا الأمر بحسب باديو يرجع إلى نظام آخر من التفكير يجعله أمرا متحققا من مثل التفكير التاريخي أي التاريخ المنظور إليه من وجهة نظر السياسة⁴، فلماذا لا نحمل العلوم والفنون والآداب تلك المسؤولية؟ في واقع الأمر ليس أبدا من التواضع بحسب باديو، أن نعلن النهاية أو الاكتمال أو الانسداد الجذري للفلسفة، فإعلان الروايات الكبرى هو كذلك ليس تواضعا باعتبار أن وثوقية هذه الإعلانات بموت الميتافيزيقا ونهاية الفلسفة تدور وتتحرك داخل ميتافيزيقا اليقين.

¹ - François Wahl .préface le soustractif in Alain Badiou . conditions1 éd seul . Paris. 1992 p15-16

² - Ibid. p10

³ - Ibid. p10

⁴ - Manifeste pour la philosophe .éd du seuil paris.1989 p8-10

كما أن القول بتفكيك مفهوم الذات يتطلب مقولة مركزية مثل - الوجود مثلا - حيث تأثير التاريخ وسلطته لا يمكن إزاحتها¹.

ففي الوقت الذي تحدد فيه رهان الفلسفة والمتمثل في مرض نهايتها، فإننا نترك المكان بحسب باديو لسؤال آخر والمتمثل في سؤال شروطها ses conditions:

لا يدعي باديو أن الفلسفة ممكنة في كل عصر ومصر²، إلا أنها في عصرنا الراهن ممكنة وإمكانيتها ليست على شكل اجتياز لنهاية ما، فالأمر يتعلق على العكس من ذلك بمعرفة الخطوة التي يجب أن تخطوها، خطوة داخل التشكل الحديث الذي يربط (التشكل) منذ ديكارت مع شروط الفلسفة المفاهيم الثلاثة الأساسية والمتمثلة في الوجود والحقيقة والذات³.

لم تكن الفلسفة موجودة في التشكلات التاريخية جميعها، نعم للفلسفة بداية ما، ذلك أن نمط وجودها هو الإنقطاعات في الزمان كما في المكان وهذا الأمر يفترض توفر شروط خاصة حتى تتشكل الفلسفة⁴، وبالنظر إلى المسافات التي تبعد بين الدول والأمم منذ الإغريق وإلى يومنا هذا، فإنه يبدو وبشكل واضح أن كل أمل في تحديد شروط الفلسفة انطلاقا من قاعدة موضوعية واحدة لأشكال اجتماعية ما أو حتى انطلاقا من خطابات إيديولوجية كبرى دينية كانت أو أسطورية، هو أمل مآله الفشل⁵.

إن شروط الفلسفة بحسب باديو عبارة عن عارضات Transversales، إنها إجراءات وحيدة الشكل uniformes، يمكن التعرف عليها من مسافات بعيدة، ثم إن علاقة هذه الشروط وهذه الإجراءات بالفكر علاقة ثابتة وليست متقلبة، والكلمة - الأمم⁶ - Le maitre - mot لتعيين هذا الثبات وعدم التغلب واضحة وصريحة إنها " الحقيقة"⁷؛ والإجراءات التي تدخل في شروط الفلسفة هي إجراءات الحقيقة: الرياضيات (العلم) والإبداع السياسي والفن (والأدب) والحب، كل هذه الشروط الواجب توفرها في تكون الفلسفة كانت ممكنة ومتوفرة في العصر اليوناني، إلا أنها لم تكن متوفرة بكليتها في جميع المجتمعات والأمم فهناك أمم لم تعرف الرياضيات، كما أن هناك أمم لم يكن لديها انتشار واسع للفنون أ وكان الفن جزء لا يتجزأ من الممارسات والطقوس الدينية، ثم أن هناك شعوبا لم تعرف حقيقة الحب، أو أن الحب لديها كان مختفيا، كما أن هناك شعوب كانت تحب وطأة الدكتاتوريات وحكم الفرد المطلق واستبداده، وبالتالي لم تعرف هذه الشعوب الإبداع السياسي حتى أنه لم يكن عند هذه الأمم التفكير في السياسة مسموحا⁸؛ فإن كانت بعض

¹ - Manifeste.p11

² - Ibid.p11

³ - Ibid.p12

⁴ - Ibid.p13

⁵ - Ibid.p13

⁶ - François Wahl préfère ce op.cit.p12

⁷ - Manifeste .p13

⁸ - Ibid.p14

الأمم حازت بعض هذه الشروط فإنه لم يكن من السهل تواجدها معا في تاريخ الحضارات عموماً واليوناني خصوصاً، فحضور هذه الشروط جميعاً في فضاء مشترك لم يكن على الدوام ممكناً بالنسبة لباديو، فإذا شهد اليونان ولادة الفلسفة فإن ذلك لا يرجع إلى امتلاك الإغريق للمقدس نتيجة المنع الأسطوري للشعر ولا يرجع إلى فكرة حجب الحاضر الذي كان لهم شيئاً مألوفاً داخل نمط الممارسة صوفية حول الوجود، ذلك أن هناك حضارات وأمم أخرى قديمة عُرِفَتْ باستعمالها للمخزون التقديسي للوجود داخل المنطوق الشعري¹، إلا أن اليونان تميزوا عن تلك الأمم بعملية القطع مع قصة الأصول بواسطة الطرح الحلّي² - اللائكي - والمجرد وذلك بالنيل من مكانة الشعر بواسطة الرياضيات، وتصور المدينة - الدولة - كسلطة منفتحة وتنافسية وشاغرة، ويجلب داخل الساحة العامة عواصف الانفعال والحب³.

فبحسب آلان باديو لا يمكن أن تقوم فلسفة ما إلا إذا توفرت تلك الإجراءات الأربعة معاً في حقل فكري محدد أو حقل مفاهيمي واحد، أي أن تتماكن تلك الشروط الأربعة داخل نسق فكري ما. فالتماكن La compossibilité شرط أساسي في قيام فلسفة ما، وأول من استوعب هذا الأمر وقام بانجازه هو أفلاطون وذلك عندما أشتراط على من أراد الدخول إلى الأكاديمية الفلسفية أن تتوقر لديه المعرفة الرياضية: "لا يدخل الأكاديمية إلا من كان رياضي (مهندس)" وعليه أخرج من دائرتها كل من كان الشعر وحده ملكته، باعتبار أن الشعر من دون الرياضيات يؤدي بصاحبه إلى المحاكاة والمغالطات⁴، وكذلك الشأن لباقي الشروط الحب والسياسة، فموضوع الحب نجده في كتابه "المأدبة" أو في حوار "فيدون"، والسياسية نجدها خاصة في الفصل التاسع من كتاب "الجمهورية"، فلا وجود للفلسفة من دون أن تكون للسياسة وضع واقعي لإبداع ممكن⁵. فلا فلسفة إذن إلا بتماكن تلك الشروط الأربعة، وبتقصان واحدة منها يؤدي بحسب باديو إلى تبديد الفلسفة؛ فالشروط الأربعة الرياضيات، والإبداع السياسي، والفن (الشعر) والحب ضرورية معاً لكل مشروع فلسفي. وقد أطلق باديو على تلك الشروط الأربعة اسم الإجراءات النوعية للحقيقة procédures génériques فهي المسؤولة على تمييز وتصنيف كل العمليات المحتملة لإنتاج الحقائق (جمع حقيقة)⁶، فلا وجود لحقيقة خارج الحقيقة العلمية الرياضية والحقيقة الفنية والحقيقة السياسية والحقيقة العشقية⁷، وهنا يجب أن لا نخلط بحسب باديو بين إجراءات

¹ - Manifeste.p14

² - ب. الحلّي في كتابه مقدمة درس لغة العرب taïcترجمة الشيخ عبد الله العلايلي لكلمة.

³ - Manifeste.p14

⁴ - Ibid.p15

⁵ - Ibid.p15

⁶ - Manifeste p 16

⁷ - Ibid.p16

الحقيقة والتراكم المعرفي، فقد تكون هناك معارف متراكمة وخطابات حول المعرفة صحيحة، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى القول أن أصل الحقيقة ومنبعها يعود لنظام الحدث¹.

فالفلسفة بالنسبة لباديو لا تؤسس لأي حقيقة ولكنها تمتلك مكانا للحقائق فهي تقوم بالتفكير في عصرها من خلال تمكين مشترك لوضعية الإجراءات التي تدخل في شروطها بهذا المعنى، فالسؤال الوحيد الذي يشغل الفلسفة هو سؤال الحقيقة، ليس لأنها لا تنتج حقيقة ما وإنما لأنها تقوم باقتراح - بتقديم - نمط الدخول إلى وحدة لحظة الحقائق، إنه موقع مفاهيمي حيث تتناظر وتتفاكر باعتبارها تماكنات، في الإجراءات النوعية².

فإذن ليس من شأن الفلسفة أن تقول الحقيقة ولكنها تقول الظرف La conjoncture أو قل الالتقاء الفكري الممكن للحقائق³؛ إن الذي يحدد فلسفة كبيرة ما ويضع شروطها، بعيدا عن المعارف المؤسسة والصلبة، إنها الأزمات الخارقة والمفارقة للرياضيات، إنها الهزات التي تصيب اللغة الشعرية، إنها الثورات والاستفزازات التي تصيب السياسة، إنها في الأخير تقلبات العلاقة بين الجنسين⁴.

فإذا كانت الفلسفة بحسب باديو واقعة في دوامة قلقها وترقبها حيث أحاط بها التشاؤم من كل جانب وذلك ربما منذ هيغل؛ فإن هذا الأمر يرجع لوقوعها في شبك تلفيقات شروطها، وخاصة تلفيقات les sutures لشروطها العلمية والسياسية التي تمنعها من تشكيل تماكنها العام Compossibilité générale⁵.

لقد أخذ ألان باديو الوقت الكافي لعرض نسقه الفلسفي بعد كتابه البارز في بداية مسيرته حول نظرية الذات la théorie du sujet الصادر في 1980، والذي كان متأثرا فيه بقوة وبوضوح بتحليل النفس اللاكاني، يأتي كتابه الكبير الذي يعرض فيه مشروعه الفلسفي وذلك في كتاب حمل عنوان "الوجود والحدث" الذي صدر 1988- كان باديو في الخمسين من عمره- إن فلسفة باديو التي أراد بسطها في كتابه الأساسي تقوم على التمييز بين نظامين كبيرين وهما الوجود - الدائم - والحدث - الجديد - بغية الجمع بين تشخيص الحاضر والتأمل في الأزل.

بداية نبدأ مع النظام الأول ألا وهو الوجود L'être من المعلوم أن الانطولوجيا من اليونانية أنتوس Ontos تعني الوجود L'être واللوغوس وlogos وتعني الخطاب (أو القول العلمي) Le discours وعليه فإن الانطولوجيا تُعرف بخطاب الوجود باعتباره وجود أو قل هي علم الوجود بما هو موجود، وبالتالي تكون الأسئلة التي تعالجها الانطولوجيا التقليدية هي على النحو التالي: ما

¹ - Ibid.p17

² - Ibid.p18

³ - Ibid.p19

⁴ - Ibid.p19

⁵ - Manifeste.p45

الوجود؟ ماذا يمكننا أن نعرف عن الوجود؟ وغيرها من الأسئلة، فهذا النوع من الأسئلة الكبيرة تعد نقطة انطلاق الانطولوجيا نحو أسئلتها الفلسفية أو قل الميتافيزيقية. أما أطروحة آلان باديو الأساسية والمتعلق بالوجود فإنها تتمثل في أن الوجود أو علم الوجود- الانطولوجيا - تتداخل مع الرياضيات فهي الشرط القبلي لكل انطولوجيا ممكنة¹، فلا خطاب حول الانطولوجيا مقبولا إلا إذا تداخل مع مبحث الرياضيات، مما يعني بحسب باديو أن الواقع ككل هو واقع مُرضٍ أي منظم رياضيا، وفي الوقت ذاته ممكن ريشته أي يمكن معرفته بواسطة الرياضيات mathématisable، فهذه الطريقة يقدم باديو الإجابة حول المسألة المتعلقة بوضعية الأغراض الرياضية les status des objets mathématiques (فيما إذا كان الأمر يتعلق بمسألة المثل أو التجرد أو البناء....؟): إن هذه الأغراض الرياضية ليست فقط واقعية، بل هي الواقع ذاته وعليه ومن خلال هذا الطرح يكرس بل يُجذر ويُوسع باديو الاعتقاد المشهور الذي صاغه غاليلي في قوله المشهور: " الطبيعة كتاب كُتب باللغة الرياضية " ذاهبا إلى الاعتقاد مع هيدغر ضد هيدغر بكلامه حول النسيان، فإذا كان هناك نسيان حَدَث في تاريخ الانطولوجيا فإنه نسيان العلاقة الوطيدة بين الرياضيات والوجود التي دشنتها أفلاطون من خلال فكرة المثل، فأفلاطون هو من وضع أسس الانطولوجيا المبنية على الرياضيات مستنكرا كل أنطولوجيا مبنية على الشعر (ضد هيدغر)².

فالرياضيات بالنسبة إلى باديو هي علم الوجود الحقيقي، أما العلم فإنه ممارسة أنطولوجيا بعدية Une méta-ontologie، إنها خطاب حول الرياضيات يساعدها على كشف نفسها؛ والسؤال المطروح الآن بعد هذا الطرح هو عن أي رياضيات يتحدث باديو؟ فإذا كانت الرياضيات بهذه السعة والتنوع والتشعب فما هي الرياضيات التي يتبناها باديو؟ لقد كان باديو محل انتقاد شديد من فلاسفة العلم والرياضيات كأمثال جان دوساتني في مقال نشر في مجلة الأزمنة الحديثة في ماي 1990 تحت عنوان بعض الملاحظات حول الأنطولوجية الذاتية لدى آلان باديو (العدد 525)³ وذلك عندما ساوى بين الأنطولوجيا والرياضيات. فقد تموقع باديو تموقعا جديداً فيما يخص هذه المسألة ذلك لأنه يرجع إلى مجال خاص من هذه العلوم الرياضية إنها نظرية المجموعات التي تعود إلى كانتور Contor ودودوكند Dedekind؛ فهي الوسيلة أو قل الأداة التي تغدي البناء الداخلي للوجود بحسب باديو والمصاغة بالصيغة الثابتة standard من طرف زرمelo وفراينكل (Zermelo et fraenkel)⁴

3- الواحد والكثرة:

¹ - Alain Badiou l'etre et événement éd seuil, Paris 1988, p31

² - L'etre et l'événement ;p141, 143

³ - J.T.Desant, Quelques remarques a propos de l'ontologie intrinsèque d'Alain Badiou.in les Temps Modernes.n°525.Mais 1990

⁴ - Ibid.p63

لقد حاول باديو أن يستعين بنظرية كانتور المتعلقة بالكثرة حيث نقلها بالصيغة Z.F إلى مجال الانطولوجيا، مما نتج عن هذا التبنّي أطروحة مفادها أن الواحد لا وجود له على الحقيقة. وبالتالي لا يجب أن نفكر انطلاقاً من الجواهر والمبادئ (الواحد، الله...) أو انطلاقاً من وحدات أولية (كالذرات أو الجواهر الفردة) والتي إذا اتحدت فيما بينها تؤدي إلى تشكل المتعدد أو الكثرات، فالعملية بالنسبة لباديو معكوسة، فإذا كان الواحد لا يملك صفة الوجود الفعلي، فهذا يعني في آخر الأمر، أنّ الواحد عبارة عن مفهوم إجرائي لا غير *un concept opératoire*، إنه نتاج يتكون من مادة أولية متمثلة في الكثرة¹.

فليس هناك ماهيات أو جواهر فردة بل لا وجود إلا لفردات (جمع فريد). أو قل هناك كثرات وجودية طبيعية ولكن ليست طبيعة بحد ذاتها، كائنات بشرية ولكن ليس مفهوم الإنسانية أي أن هناك ما صدق دون مفهوم بالتعبير المنطقي.

فالإرث المادي الذي يحوزه باديو يقوده إلى رفض إنشاء كلية أو شمولية *totalité* تنفلت وتتجرد من الشيء الذي تجمعها، بمعنى آخر يرفض باديو "كلاً" تنفلت منه الأشياء التي تندرج تحته – مثلاً المجتمع باعتباره كلاً الذي يكون منتوجاً اجتماعياً² – ذلك أن هذه التجريدات تعلق المجموعة وتجعلها متناهية *fini* ونسى أن هناك من هذه المجموعة بنويات يتجاوزها دائماً، فالإنسان مثلاً لا يتحقق بالنسبة لباديو، إلا إذا انفلت من أفق الموت، من النهاية التي أقحمتها فكرة الشرط الإنساني النوعي والمشتراك، فنحن لسنا أناساً مبرمجين بحسب باديو، بل يمكننا أن ننفذ من أقطار السموات والأرض إلى اللا نهائي وإلى المطلق، وإلى ما يتجاوز طبيعتنا المفترضة سلفاً، إنها بالذات العلامة الوحيدة للحياة الإنسانية التي تنفلت من الزمن ومن مساره، إنها ما يملك فيلسوف المثل بهذا الطرح يتشكل لدى باديو في وصل المادية بالمثالية³.

4- الحدث:

هناك مفهوم لدى باديو يقوم بتحديد ما يمنع "الكل" من أن يتشكل، وهو الذي يتجاوز هذا الكل ويزعزع على الدوام، هذا المفهوم هو "الحدث" إنه النظام الثاني من نسق باديو الفلسفي: فالحدث أمر ينفلت من الانطولوجيا أنه يقوم بشق وخلع الوجود، وعليه فالأنطولوجيا عند باديو هي كل منقوص أو قل مسلوب (*soustractive*) والحدث هو ما سلب من الوجود أو قل ما طرح منه، ذلك أن الوجود وبوصفه كثرة وتعدد، مشكل بطريقة يكون فيها دائماً متجاوزاً، فالحدث ليس موجوداً، أنه يأتي ويحل، أنه يحدث ويتدفق⁴؛ فالحدث يحمل صفة المباغتة وعنصر المفاجئة، إنه

¹ - L'être et l'événement op.cit,p32

² - Ibid,p161

³ - Ibid,p45,47

⁴ - Ibid,p197,199,203

منفلت من كل معرفة مسبقة، لا يمكن اختزاله في معرفة قبلية، ولهذا فهو مختم بطابع الصدفة والجديد والدهشة¹.

وحتى يوضح لنا باديو مفهومه للحدث وعلاقته بالوجود قدم لنا جملة من الأمثلة المحسوسة والتي تحيل إلى الأنظمة الأربعة للفلسفة، العلم والفن والسياسة والحب. فداخل نظام الحب: اللقاء اللا متوقع هو حدث، بين رجل وامرأة في مقهى ما؛ وفي السياسة السلسلات أو قل المنظومات المتحركة والتي تنشئ ثغرة في التاريخ هي أحداث، كالثورة الفرنسية، أو الثورة الثقافية في الصين، أو ماي 1968؛ وفي العلم، التأسيس أو الإمتدادات لاختصاص ما هي أحداث : مثل إبداع غاليلي في الفيزياء الحديثة، أو إدخال الصورية الرياضية من طرف كانتور؛ وفي الفن أخيرا كل عمل يقلب قوانين أو شرائع المجال الجمالي يحدث حدثا، مثلا في الموسيقى، إختراع الموسيقى الكلاسيكية من طرف هيدن haydn أو موسيقى اثني عشر نغمة dodécaphonique من طرف شونبرغ schoenberg في بداية القرن العشرين². فالأحداث إذن عبارة عن تفردات لا يمكن إختزالها، فهي خارجة عن القانون، إنها وضعيات des situations تجبرنا على الإقرار بطريقة جديدة للوجود³.

وهكذا يتصدع الوجود بسبب ما يحدث advient، هذا الحدث الذي لا يمكن أن يكون موضوعا لمعرفة ما، والذي لم يكن ممكنا قبل الوجود ولمقاربة هذا المفهوم أي الحدث يمكن أن نعرفه أنه إبداع لإمكانات جديدة، التي شكل ما أطلق عليه باديو اسم " الحقائق " الواقعية: سياسية وعلمية وفنية وعشقية، ثم تأتي الذات le sujet لتختبر وتحدثنا عن هذه الحقائق وتتحمل نتائجها، فلقاء الذات بالحقيقة هي أن تواجه الحدث مع إظهار الإخلاص⁴.

الخاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أن باديو يمتلك مستويين من الخطاب، من جهة يقذف باديو بشعارات slogan سياسية مدوية، وفي الغالب ما تكون هذه الخطابات أو الشعارات تبسيطية تسطيحية simplistes، ومن جهة أخرى يستند آلان باديو على عمل فلسفي تأسيسي معتبرا في الوسط الجامعي والأكاديمي في فرنسا وخارج فرنسا ربما نحن أمام شخصية اعتقادية ذات رجلين منفرجتين أو بتعبير بارمنيدس " ديكارانوا"⁵ رجل ذو رأسين، إننا أمام مؤلف فصامي دكتور "ماو" والسيد رياضيات حتى اعتبر من طرف خصومه أحد الميتافيزيقيين التائهيين في السياسة.

إن باديو ينادي بأعلى الأصوات وأقواها بأن جملة أفكاره حول السياسة أو الفن أو الحب إن هي إلا استمرار مباشر وغير مفصول عن نسقه الفلسفي، فهو يجعل من لقاء المتحايين حدثا un

¹ - Manifeste pour la philosophe, p59.

² - Manifeste pour la philosophe, p37-38 et p60-65.

³ - Alain Badiou, L'éthique, essai sur la conscience du Mal, éd Hatier, Paris 1993, p40

⁴ - Ibid. p38-39

⁵ - J,T Desanti ,op.cit.

événement، والحدث هو أحد أهم مفاهيم باديو السيادية، داخل نسقه، كما أنه عندما يؤكد على الخيار الشيعوي كما يتصوره هو، فإنه يضع خياره هذا على أسس الوجود المتكثرة أو قل أنطولوجيا الكثرة مما يجعل أصوات خصومه تخفت نوعا ما.

إن نسقية باديو وترساته المفهومية أنتجها داخل مخبر لفلسفة عالية التأمل، فقراءة أعماله تتطلب درجة عالية من الانتباه والمام كبير بالمعارف الرياضية ثم إن أسلوبه يتميز بالمتانة والصعوبة الشديتين، فهو يجمع في أسلوبه التدليل والتخيل، بين الرياضيات والخيال، وفي الوقت نفسه يمكن وصف كتاباته بالنبوية والمجردة أو قل الرسالية والفلسفية، وإذا ما وُجهت إليه انتقادات فيما يخص كتاباته وأسلوبه على أنها غير متواضعة، فإن إجابته كانت دائما بأن التواضع ليس فضيلة فلسفية بل ربما من الصعوبة أن يكون الفيلسوف طموحا دون أن يصاب بالإدعاء.

نعم إن فلسفة باديو طموحة جدا إلى حد الغرور والإدعاء، إنها فلسفة تنافح فلاسفة كبار كهيدغر مثلا، غايتها القصوى التفكير في الوجود ولكن بخلاف هيدغر الذي أراد أن ينطق الوجود مضفيا عليه قداسة ما وطامعا في الوقت ذاته في ثقب جداره السري الذي ظل محفوظا منذ أكثر من ألفيتين، إلا أن باديو ينظر إلى الوجود نظرة محايدة خالية من المعنى، فالفلسفة كما يراها باديو ضد كل انقطاع وانفصال عن الواقع، حتى فلسفة هيدغر بالنسبة لباديو ليست منقطعة عن الواقع مهما حاولت ذلك، فليس همّ الفلسفة جعل واقعنا مجردا بواسطة لعبة مفهومية مستعصية الفهم تحمينا من مظهره التحكيمي والمجهول والخاوي. على العكس من ذلك كل فلسفة تحاول أن تنفصل عن الواقع من أجل الانقطاع عنه لا يمكنها أن تكون فلسفة، فكل فلسفة لا تحدثنا عن العالم ولا تسهل على الإنسان إمكانية فهم نفسه بنفسه وإمكانية فهم العالم، لا يمكنها أن تكون فلسفة. من هنا ليس غريبا أن تكون فلسفة آلان باديو بالرغم من تعقيداتها ومهما قلنا عنها، ليس لها إلا غرضا واحدا وهو الرغبة في جعل واقعنا ممكن الفهم من أجل تحصيل الإنسان سعادته في هذا العالم، ذلك أن الفيلسوف كما يقول باديو هو أكثر الناس سعادة في هذه المعمورة.

فالمسألة الأساسية للوجود ليس كما طرحها هيدغر باعتبارها " نسيانا للوجود" ولا هي البحث عن " أصل ضائع" فإن المعالجة الهيدغرية، بحسب باديو، لمسألة الوجود حصرت النقاش بين التراث والسلعة أو بين التراث والحدثة، ولهذا كان يجب على الفلسفة بعد هيدغر أن توجه النقاش نحو خلق وضعية تحررنا من هذا الخيار باعتبار أن هذا الخيار يسقط من اهتمامه الوجود الفعلي للمشاركة والتواصل بين أفراد الإنسانية المختبئة داخل إجراءات الحقيقة، فلا يجب أن نتعامل على التقنية ولكن على التوظيفات التي استعملت العلم في سباق هذه النتائج التطبيقية الممكنة وإخضاعها لنمط الإنتاج الرأسمالي.

إن فلسفة باديو والتي تناولها خصوصا في كتابيه الأساسين "الوجود والحدث" و"منطقيات العوالم" تذهب إلى أن الأنطولوجيا مطابقة للرياضيات وبالأخص لنظرية المجموعات وأن الظاهرية لا تنفصل عن المنطق حيث يربطها باديو بنظرية المواضيع في الهندسة la théorie des topos

لقد شكل باديو من خلال هذين الكتابين نسقا ميتافيزيقيا على الطراز القديم حيث يجمع فيه بين خاصيتين اثنتين وهما التركيب والشمول أين دعم نسقه هذا بالنظريات الرياضية الجديدة مثل البنيات الممكنة لدى غودل les constructibles chez Gödel وكذلك بمفهوم الإستقواء Logique interne des le forcing وكذلك المنطق الداخلي لنظرية المواضيع .topos

قائمة المصادر والمراجع المصادر:

- Alain Badiou : L'Etre et l'événement éd. Seuil. Paris 1988
- Les logique des mondes éd Seuil, Paris 2006
- Condition éd Seuil, Paris 1992
- Manifeste pour la philosophie éd Seuil, Paris 1989
- L'éthique, essai sur la conscience du Mal ,éd Hatier, Paris 1993
- La philosophie et l'événement, entre tiens avec Fabien Tarby, éd Germina,2010
- L'entretien de Bruxelles ,in revue les Temps Modernes n° 526 Mai 1990

المراجع:

- J.T.Desanti , Quelques remarques a propos de l'ontologie intrinsèque d'Alain Badiou.in les Temps Modernes, n°525Mars1990
- Jacques Roncière, A-propos de l'être et l'événement d'Alain Badiou , in cahier du collège international de philosophie, N°8 octobre 1989 paris.
- Tristan Garcia, de quoi Badiou est-il le nom ?,in revue philosophie Mag. N°44,Novembre 2010